Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومهما تناقضت هذه الدعوة مع الفكرة الأساسية للقصيدة ـ وهي إدانة العنف ـ فهي الفكرة الوحيدة التي تصلح بديلاً لانتظار المسيح ، لدى سيتول[1] ، فلن يقهر العنف إلاّ مواجهته :

هلم فما يزال الدهر (ليلاً)[2] بين أيدينا
لنطو دجاه قبل طلوع شمس دون ألوان
تبدد عالم الأحلام ، تخفت ـ إذ يرن التبر فيها ـ سجع كهان .

فبدلاً من سيطرة « الذهب » على العالم ، ذلك الوحش الذي يأكل الموتى ، ويشرب دم الأحياء ، ويسرق زاد الأطفال . ويفرغ دعوات الخير من مضمونها فيسخر من النبوات ، ينبغي أن يرفع هذا المعبد الغريق ، فنحله القمة التي يتربع عليها الذهب المتوحش :

يجول التبر فيها . . يأكل الموتى
ويشرب من دم الأحياء . . يسرق زاد أطفال
ليتقد اللظى في عينه . . ليعيره صوتاً
يحطم صوت كل الأنبياء . .

***

هلم نزور آلهة البحيرة . .
ثم نرفعها . . لتسكن قمة الجبل .

***

هكذا استطاع الشاعر . . في أخريات عمره أن يسيطر على عالم سيتول بفهم صلب فكرتها ، وإخضاع الصور الجزئية لنسق فكري عام ، حتى ليمكننا القول إن قصيدة «المعبد الغريق» هي التحقيق العربي بشكل ما لفكرة «شبح قايين» السيتولية .

---

١ ـ على الرغم من أنها لم تستبعد العنف المضاد ، فهي ترى أن المسيح سيأتي على بحار من الدم وسط المطر المرعب ، ولكن يبدو أنها تفرق بين عنف الأرض فتدينه ، وعنف السماء فتقبله . إلاّ أن السياب يرفض عنف الشر ـ الاستغلال ـ ويقبل عنف الخير الذي يهدف إلى دفع الشر ومقاومته .

٢ ـ ما بين الأقواس زيادة يقتضيها الوزن ، فالقصيدة من مجزوء الوافر مفاعلتن مفاعلتن ، ولا يستقيم الوزن إلاّ بإضافة خبر « ما يزال » إما اسما ، نحو : ليلاً أو طفلاً أو ما وازن ذلك ، وإما جملة ، نحو : يولد او يحبو . . الخ . وهذا النقص في المجموعة الكاملة ، وأيضاً في الطبعة الأولى للديوان التي صدرت عام ١٩٦٢ في حياة الشاعر ، عن دار العلم للملايين .